لغز اشتعال الحرائق فى البيوت

كثُر الحديث فى الفترة الأخيرة عن حرائق تشتعل فى أحد البيوت أو فى أكثر من بيت دون سبب واضح لهذه الحرائق ، الأمر الذى استدعى ذهاب عدد من القنوات الفضائية ومنهم إعلاميون مشاهير للمشاهدة والتصوير، ثم طرح التساؤلات الحائرة .. كيف تحدث هذه الحرائق التلقائية؟ .. من يشعلها؟ .. هل ثمة جن يسكن هذه البيوت ويريد إزعاج أو طرد ساكنيها من البشر؟ .. هل تكون من فعل البشر لتحقيق أهداف بعينها؟ .. هل هى فعلا حقيقة أم توهمات من العامة ومبالغات فى الحكايات؟ .. هل تحتاج لمعالجات روحانية أو مصالحة مع الجن؟.. أم تحتاج دراسة علمية متخصصة؟ .. أم أن الأمر لا يعدو كونه «شو» شعبيا ومبالغات إعلامية هدفها جذب المشاهد وإبهاره وشغل الناس عن مشاغلها ومشكلاتها الحقيقية؟ .

● الملاحظة الهامة الأولى أن الكلام عن هذه الحرائق ينتشر فى القرى والنجوع سواء فى الصعيد أو فى الدلتا (محافظة الشرقية على وجه الخصوص) وفى بيئات ينخفض فيها المستوى التعليمى والاقتصادى والاجتماعى، ويشيع فيها المعتقدات عن الجن، والناس فى هذه المجتمعات لديهم قابلية عالية للإيحاء والاستهواء ولنقل الحكايات بعد إضافة مبالغات كثيرة عليها. وهذه الظواهر الغريبة نادرة الحدوث فى المجتمعات المتقدمة وفى المستويات الاجتماعية والعلمية الأرقى .

● الملاحظة الثانية أنه لم يتم توثيق ماحدث بشكل علمى منضبط أو حتى بشكل رسمى واقعى، وإنما ترك الأمر لأقوال مرسلة لاتصمد أمام أى تفكير منطقى.

● الملاحظة الثالثة هى أنه لم تحدث خسائر فى الأرواح نتيجة هذه الحرائق، وكأنها مصمّمة بطريقة متقنة وانتقائية تبتعد فيها عن إيذاء ساكنى هذه البيوت .

ولى خبرة شخصية فى بيت سكنته، وقد سمعت أن هذا البيت مسكون بالعفاريت، وأن الجيران كانوا يشاهدون نارا تشتعل فيه ودخانا يتصاعد قبل أن يكتمل هذا البيت وقبل أن يسكنه أحد !!!... وقد عشت فى هذا البيت سنوات عديدة ولم أر فيه أى شيئا مما ذكره الناس ، وكنت أحيانا أنام فيه وحدى لعدة ليالٍ ولم ألاحظ أى شىء غريب فعرفت كيف يتناقل الناس الشائعات حول هذه الأمور .

●●●

وقبل الدخول فى التفسيرات العلمية للظاهرة نذكر قصة سيدة ماليزية عجوز تعيش فى منزل قديم بمفردها، وكانت من وقت لآخر تصرخ وتستنجد بجيرانها ليطفئوا حريقا شب فى بيتها دون سبب مفهوم، وتذهب أحيانا إلى الشرطة لتحرّر محضرا بالواقعة، وكان التفسير الجاهز كالعادة هو أن ثمة جنا يسكن بيت السيدة العجوز يشعل هذه النيران، إلى أن جاء يوم وتطوّع سائح أمريكى هو وزوجته أن يستأذنا السيدة العجوز ويسكنا فى البيت بدلا منها ليرصدا هذه الظاهرة الغريبة بشكل دقيق ... فى البداية رفضت السيدة هذا العرض، ولكن تحت إلحاح الجيران والسلطات قبلت، وسكن الزوجان فى البيت ومر شهر كامل ولم تحدث أية حرائق ، واتضح فيما بعد أن العجوز نفسها هى من كانت تشعل الحرائق فى بيتها .

ومن المعروف أن منطقة «جعيطا» فى جبال لبنان اشتُهرت لسنوات طويلة بحدوث رجع غريب للصوت، وكان الناس يعتقدون لسنوات طويلة أن المنطقة مسكونة بالجان، إلى أن جاء مستكشف غربى وعاش فى المنطقة وافترض

أن رجع الصوت بهذه الطريقة يفيد بأن ثمة تجويفا ضخما فى بطن الجبل، وظل يبحث فى جوانب الجبل إلى أن عثر على مدخل لمغارة هائلة أصبحت الآن من أجمل المزارات فى جبل لبنان.

ومن خلال متابعة حالات فى العيادات النفسية نورد بعض النماذج الحقيقية التى كانت مستترة خلف أحداث تبدو غامضة وكانت بسبب غموضها تستدعى لدى العامة وبعض الخاصة تفسيرات تتصل بالجن:

● جاء الزوج يشتكى بأن ملابسه تحترق بشكل تلقائى دون سبب واضح، وأنه حين نقل ملابسه من شقة لشقة أخرى فى نفس البيت كانت تحترق أيضا وحين كان يخلطها بملابس أخرى تشبهها لم يكن يحترق غير ملابسه !!! . وقد أقرت الزوجة بأنها ترى بعينيها الملابس تحترق تلقائيا وشاركها فى الإقرار أطفالها الثلاثة وذكروا أنهم رأوا ذلك بأعينهم. وأحضر الزوج أشخاصا يدّعون أنهم يُخرجون الجان وظلوا يتمتمون ويعوذون ويضعون ملحا هنا وأحجبة هناك ويعقدون جلسات صلح مع الجن الذى فعل ذلك - حسب رأيهم - لأن هذا الرجل طرد قطة من البيت بعد أن ضربها وهى كانت من الجن فقررت الانتقام منه. وبعد جلسات عديدة مع أفراد الأسرة كُل على حدة اتضح أن الزوجة هى من كانت تحرق ملابس زوجها لخلافات عميقة بينهما، وأنها كانت تأتى بأطفالها ليروا كيف كانت تحترق الملابس بعد أن تكون قد أشعلت النار فيها بمفردها.

● زوج آخر لاحظ احتراق النقود التى يحتفظ بها فى المنزل، وأنه يراها وقد تحولت إلى رماد .. ومهما غيّر أماكنها كانت تحترق. وذكر أيضا أن أحد التجار قال له أن أحدا من بيته يأتى له بأموال كثيرة يشترى بها بضائع لا لزوم لها لبيت واحد ولأسرة صغيرة، وحين سأل زوجته وأبناءه نفوا جميعا أن يكونوا ذهبوا إلى هذا التاجر. ومرة أخرى أجمع الروحانيون ومخرجو الجن أن هذا عمل من أعمال الجن وابتزوا الزوج لفترات طويلة حتى يئس منهم، وجاء يسأل إن كان ثمة تفسير نفسى لذلك. وبعد جلسات عديدة اتضح أن الزوجة هى من كانت تشعل النيران فى أموال زوجها لأنها علمت بنيته الزواج عليها لما تحسنت أحواله المادية وازدهرت تجارته فكانت تريد أن تحرمه من هذا المال حتى يظل معها وحدها.

ثبت أن بعض الدجالين والمشعوذين فى القرى يكلفون أتباعا لهم بإشعال الحرائق فى أكثر من مكان ليروّجوا أن ذلك بفعل الجن ليتدخلوا هم بعد ذلك ويعرضوا خدماتهم لإنقاذ هذه البيوت وأصحابها من غضبة الجن.

● هناك مرض فى الطب النفسى يسمى «**هوس إشعال النيران**»، والمريض بهذه الحالة يستمتع بإشعال الحرائق، ويفعلها سرا وبطريقة متقنة ولا يترك خلفه (خلفها) أثرا يدل عليه، ولذلك يدع الناس فى حيرة وربما يظل هكذا سنوات دون أن يعرف أحد أنه هو المتسبب فى تلك الحرائق.

●●●

وحتى لو افترضنا جدلا أن تلك الحرائق تشتعل دون أى سبب مما ذكرناه، فهذا ليس مبررا لأن نلقى التهمة على الجن جزافا، ولكن علينا أن ندرس الظاهرة بواسطة فريق علمى متعدد التخصصات يمكث فى البيت بعد مغادرة أهله له بشكل مؤقت ويرى متى وكيف تشتعل الحرائق؟ .. وماهى الأسباب الفيزيقية أو الكيميائية أو الكهربية وراء اشتعالها (إن كانت ستشتعل أصلا).

فقد كانت تسود خرافة لمئات السنين أن شلل الأطفال يحدث نتيجة لمسة جن للطفل عند ولادته وصدّق الناس جميعا هذه الخرافة ومارسوا طقوسا لصرف الجن عن أبنائهم عند الولادة ولم تفلح ... إلى أن جاء عالمان هما سالك وسابين ورفضا هذا التفسير الشيطانى، وبحثا الأمر بطريقة علمية واكتشفا أن ثمة ميكروبات تسبب هذا المرض وصنعا لقاحا من هذه الميكروبات يعطى مناعة للجسم ضدها، وبذلك أنقذا البشرية من هذا المرض الخطير ... فلماذا نبقى نحن فى الظلام ونعزو كل ما لا نفهمه أو نعرف تفسيره إلى الجن والعفاريت؟.

ولهذا نقترح على السلطات المسئولة أن تطلب من كل من يدّعى اشتعال حرائق متكررة فى بيته بدون سبب واضح أن يترك البيت على الأقل لمدة شهر ليقيم فيه فريق بحثى متخصص، وإذا ثبت أن الأمر مجرد ادعاء يعاقب صاحب المنزل بتهمة إزعاج السلطات ويتحمل مصروفات الفريق البحثى .. وإذا كان كلامه صحيحا وأن ثمة حرائق تشتعل تلقائيا فهذه مهمة الباحثين والدولة فى معرفة الأسباب الموضوعية لاشتعال هذه الحرائق بعيدا عن التفسيرات الخرافية.

وليكّف الإعلام عن نشر الشائعات والخرافات والخزعبلات التى يشغل بها الناس بالباطل ويزيّف وعيهم ويلوّث أفكارهم ويأخذهم بعيدا عن قضاياهم الواقعية لعالم وهمى.

د. محمد المهدى
رئيس قسم الطب النفسى
جامعة الأزهر - فرع دمياط